

باب الإظهار والإدغام: ذكر «إاء»

الدرس
14

أهداف الدرس

1. أن أفهم منهج الناظم رحمه الله في هذا الباب.
2. أن أتعرف أصول القراء في إدغام ذال «إذ».
3. أن أتدرب على إدغام هذه الذال عند حروفها.

تمهيد

لما أتم الناظم رحمه الله باب الهمز أتبعه باب الإظهار والإدغام لاشتراكهما في العلة؛ وهي التخفيف وتيسير تلاوة الذكر الحكيم، ولتناسبهما في الاستعمال على الأصل وعلى ما هو فرع منه، والإدغام لغة من لغات العرب أيضاً كتسهيل الهمز، وعلى هذا جاز استعماله عند القراء على اختلاف مراتبهم فيه، فما هو منهج الناظم رحمه الله في ذكر تراجم هذا الباب؟ وما هي أصول القراء في الفصل الأول منه؟

المتن

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله -:

باب الإظهار والإدغام

255. سَأَذْكُرُ أَلْفَظاً تَلِيهَا حُرُوفُهَا *** بِالْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ تُرَوَّى وَتُجْتَلَا
256. فَذُنُوكَ إِذْ فِي بَيْتِهَا وَحُرُوفُهَا *** وَمَا بَعْدُ بِالتَّقْيِيدِ قُدَّهْ مُذَلَّلَا
257. سَأُسَمِّي وَبَعْدَ الْوَاوِ تَسْمُو حُرُوفُ مَنْ *** تَسَمَّى عَلَى سِيَمَا تُرُوقُ مُقْبَلَا
258. وَفِي دَالٍ قَدْ أَيْضاً وَتَاءٍ مُؤَنَّثٍ *** وَفِي هَلْ وَبَلٍ فَاحْتَلْ بِذِهْنِكَ أَحْيَلَا

ذكر ذال «إذ»

259. نَعَمْ إِذْ تَمْشَتْ زَيْنَبُ صَالِ دَلْهَا *** سَمِيَّ جَمَالٍ وَاصِلًا مَنْ تَوَصَّلَا

260. فَاظْهَارُهَا أَجْرَى دَوَامَ نَسِيمِهَا *** وَأَظْهَرَ رِيًّا قَوْلِهِ وَاصِفٌ جَلَا

261. وَأَدْغَمَ ضَنْكًا وَاصِلٌ تُومَ دُرِّهِ *** وَأَدْغَمَ مَوْلَى وَجْدُهُ دَائِمٌ وَلَا

الفهم

الشرح:

- أَحْيَلًا: الأحيل: الكثير الحيل.

- صَالًا: استطال.

- رِيًّا: الرائحة الطيبة.

- تُومَ: حَبَّة تصنع من الفضة كالذُرَّة.

- وَجْدُهُ: الوجد: الغنى.

استخلاص المضامين:

1- أذكر من خلال البيت الثاني والثالث منهج الناظم الذي خص به هذا الباب.

2- ما هي حروف «إذ»؟ ومن هم القراء الذين أظهروا جميعها؟

التحليل

يشتمل الدرس على محورين اثنين:

أولاً: منهج الناظم في باب الإظهار والإدغام

هذا الباب هو الإدغام الصغير، لأنه مختص بإدغام الحروف السواكن في ما قاربها من المخرج، وقسمه الناظم إلى سبعة فصول، وقدم بهذه المقدمة فقال:

سَأَذْكُرُ أَلْفَافاً تَلِيهَا حُرُوفُهَا *** بِالإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ تُرَوَّى وَتُجْتَلَا

وَعَدَ رحمه الله بذكر ألفاظ يرتب أحكامها عليها، وهي لفظ: «إذ»، و«قد»، وتاء التانيث، و«هل»، و«بل».

وقوله: «تَلِيهَا حُرُوفُهَا» أي يتبع كل لفظ منها الحروف التي تُدْغَمُ أواخر هذه الألفاظ فيها وتُظْهَرُ، وذلك وفق منهج خاص يتمثل في الآتي:

أ - التقييد بالضد

فَدُونَكَ إِذْ فِي بَيْتِهَا وَحُرُوفُهَا *** وَمَا بَعْدُ بِالتَّقْيِيدِ قُدُّهُ مُذَلَّلًا

«فَدُونَكَ» أي: خذ «إِذْ فِي بَيْتِهَا وَحُرُوفُهَا» في أوائل الكَلِمِ التي تليها، يعني أنه يذكر «إِذْ» وحروفها بعدها في بيت واحد.

وقوله: «وَمَا بَعْدُ بِالتَّقْيِيدِ قُدُّهُ مُذَلَّلًا» أي: وما بعد البيت الذي فيه «إِذْ» وحروفها قُدُّهُ إليك منقادا بالتقييد الذي تقدم ذكره، أو بالتقييد الآتي ذكره، فأما بالتقييد الذي تقدم ذكره فهو أنه إذا قال: أَظْهَرُ لِفُلَانٍ فَإِنَّ الْبَاقِينَ يَتَعَيَّنُ لَهُمُ الْإِدْغَامُ، وإذا قال: أَدْغَمَ لِفُلَانٍ فَإِنَّ الْبَاقِينَ يَتَعَيَّنُ لَهُمُ الْإِظْهَارُ.

ب - ترتيب رموز القراء والحروف مع الواو الفاصلة

وهو التقييد الآتي ذكره، أشار إليه بقوله:

سَأُسَمِّي وَبَعْدَ الْوَاوِ تَسْمُو حُرُوفُ مَنْ *** تَسْمَى عَلَى سِيمَا تَرُوقُ مُقْبَلًا
وَفِي دَالٍ قَدْ أَيْضًا وَتَاءٍ مُؤَنَّثٍ *** وَفِي هَلٍّ وَبَلٍّ فَاحْتَلَّ بِذِهْنِكَ أَحْيَلًا

اعلم أن هذه الترجمة تخالف بعض الترجمة الأولى التي بُنِيَتْ عليها القصيدة؛ لأن القاعدة في الرمز الصغير - وهو الرمز المفرد - إذا انفرد إنما يذكره بعد حرف القرآن وتقييده في الغالب، وفي هذا الباب الأمر بالعكس، فأول ما يذكر أسماء القراء، إما رمزا وإما صريحا، ثم يأتي بعدها بواو فاصلة إيذانا بأن القراء انقضت رموزهم، ثم يأتي بعد الواو بالحرف المختلف في الإظهار والإدغام فيه لمن تقدم ذكره قبل الواو.

وقوله: «تَسْمُو» أي: تعلق حروف «مَنْ تَسْمَى» قبل الواو، «عَلَى سِيمَا» أي: على علامة «تَرُوقُ مُقْبَلًا» أي: يروق تقبيلها، والتقبيل للنعر، واستعاره هنا للعلامة، أو «لأنه لما عذب هذا النظم كان كالنعر ذي المنطق العذب» [فتح الوصيد، ج 2 ص 374].

وأشار في البيت الأخير إلى أن هذا المنهج الذي وضعه لذال «إِذْ» هو نفسه في دال «قد» وتاء التأنيث ولا مي «هل» و«بل».

وقوله: «فَاحْتَلَّ بِذِهْنِكَ أَحْيَلًا» أي: فاحتل بفطنتك لاستخراج ما لكل قارئ من الإظهار والإدغام، والأحيل: الكثير الحيل، يقال رجل أحيل إذا صدقت حيلته.

ثانياً: ذال «إذ»

أ - حروف «إذ»

نَعَمْ إِذْ تَمْشَتْ زَيْنَبُ صَالٍ دَلُّهَا *** سَمِيَّ جَمَالٍ وَاصِلًا مِّنْ تَوَصَّلَا

كأن الناظم رحمه الله قدر أن مستدعيا استدعى منه الوفاء بما وعده في قوله: «سَأَذْكُرُ أَلْفَاظًا» فقال مجيباً له: «نَعَمْ» ثم أتى بـ «إِذْ» وحروفها الستة في بيت على ما وعد به، وهي في أوائل الكلم الست التي تلي «إِذْ» وهي: التاء من «تَمْشَتْ» والزاي من «زَيْنَبُ»، والصاد من «صَالٍ»، والذال من «دَلُّهَا» والسين من «سَمِيَّ»، والجيم من «جَمَالٍ»، وأمثلتها على الترتيب؛ فالتاء ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ [البقرة: 165] ونحوه، والزاي ﴿وَإِذْ زَيَّرَ﴾ [الأنفال: 49] و﴿إِذْ زَاغَتِ﴾ [الأحزاب: 10] ليس غيرهما، والصاد ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ [الأحقاف: 28]، ولا ثاني لها، والذال ﴿إِذْ خَلَوْا﴾ [الحجر: 52] ونحوه، والسين ﴿قَوْلًا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: 12، 16] موضعان ليس غيرهما، والجيم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ [البقرة: 124] ونحوه، والواو في قوله «وَاصِلًا» فاصلة، وما بعدها تتم به البيت.

وظاهر هذا البيت وما بعده التَّعَزُّلُ بزَيْنَبُ، ومراد الناظم رحمه الله إحدى نساء أهل الجنة، قال تلميذه علم الدين السخاوي: «واعلم أنه عَنَى بما ذَكَرَهُ مِنَ الْغَزْلِ نِسَاءَ الْآخِرَةِ تشويقاً إِلَيْهِنَّ» [فتح الوصيد في شرح القصيد، ج 2 ص: 375].

ب - أصول القراء في إدغام وإظهار ذال «إذ»

شرع الناظم - رحمه الله - في بيان مذاهب القراء في ذال «إذ» فقال:

فَإِظْهَارُهَا أَجْرَى دَوَامٍ نَسِيمَهَا *** وَأَظْهَرَ رِيًّا قَوْلُهُ وَاصِفٌ جَلَا

أخبر أن المشار إليهم بالهمزة والذال والنون في قوله: «أَجْرَى دَوَامٍ نَسِيمَهَا»؛ وهم: نافع وابن كثير وعاصم، أظهروا ذال «إذ» عند حروفها الستة، وأتى بالرموز مؤخرة لعدم الالتباس، وقوله: «وَأَظْهَرَ رِيًّا» إلى آخره... أخبر أن المشار إليهما بالراء والقاف في قوله: «رِيًّا قَوْلُهُ»؛ وهما: الكسائي وخلاّد، أظهرا الذال عند الجيم خاصة، فتعين لهما الإدغام في باقي الحروف، والواو في «وَأَظْهَرَ» وفي «وَاصِفٌ» للفصل.

وَأَدْغَمَ ضَنْكًا وَاصِلٌ تُومَ دُرِّهِ *** وَأَدْغَمَ مَوْلَى وَجْدُهُ دَائِمٌ وَلَا

أخبر رحمه الله أن المشار إليه بالضاد في قوله: «ضَنْكًا»؛ وهو خلف، أدغم في التاء والذال، فتعين له الإظهار عند الحروف الأربعة الباقية، وقوله: «وَأَدْغَمَ مَوْلَى» إلى آخره...، أخبر أن

المشار إليه بالميم من قوله: «مَوْلَى»؛ وهو ابن ذكوان، أدغم في الدال، فتعين له الإظهار عند الخمسة الباقية، وتعين لباقي القراء؛ وهما أبو عمرو وهشام إدغام ذال «إذ» في حروفها الستة .
والخلاصة أن القراء في فصل ذال «إذ» على ثلاث مراتب:

الأولى: الإظهار عند حروفها الستة، وأصحاب هذه المرتبة هم: نافع وابن كثير وعاصم .

الثانية: الإدغام في حروفها الستة، وأصحاب هذه المرتبة هما: أبو عمرو وهشام .

الثالثة: الإظهار عند بعضها، والإدغام في الأخرى، وأصحاب هذه المرتبة هم: الكسائي وخلف وخلاد وابن ذكوان؛ على التفصيل المذكور لهم سابقا .

التقويم

1. أين يتجلى اختلاف منهج الناظم في هذا الباب مع منهجه العام في القصيدة؟

2. ما هي حروف ذال «إذ»؟

3. أذكر أصحاب الإدغام في ما يأتي: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ [يونس: 61]، ﴿إِذْ جَعَلْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 68]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ [الأحقاف: 28] .

4. آتي بأمثلة لباقي الحروف، ثم أقرؤها بالإدغام، وأحرص على إدغام الذال بالكلية في الحرف المدغم فيه مع تشديد الأخير .

الاستثمار

قال الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ): «اعلم أن الإظهار في الحروف هو الأصل، والإدغام دخل لعله تذكّر إن شاء الله، وإنما قلنا إن الإظهار هو الأصل لأنه أكثر؛ لأن الواقع يُضطر فيه إلى الإظهار، ولاختلاف لفظ الحرفين، واعلم أن أصل الإدغام إنما هو في الحرفين المتلين، وعلة ذلك إرادة التخفيف... واعلم أن غير المتلين، إذا تقاربا في المخرج وسكن الأول أشبهتا المتلين اللذين هما من مخرج واحد، فجاز فيهما الإدغام، ما لم يمنع من ذلك مانع، فعلى هذا يجري الإدغام ويحسن» .

[الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج 1، ص 134، باختصار] .

1. أستخرج أنواع الإدغام وعلته.

2. أحدد مفهوم إدغام التقارب مع التمثيل.

الإعداد القبلي

أحفظ أبيات الدرس القادم ، وأنجز الآتي:

1. أذكر الحروف التي يُدغم فيها كل من دال «قد» وتاء التانيث .

2. أستخرج القراء الذين يظهرون جميع الحروف عند كل من الحرفين .